المحاضرة3: مقاربات بين المدارس التاريخية

1/ مقاربات بين المدارس التاريخية الإسلامية:

بالرغم من تنوع المدارس التاريخية الإسلامية وتباينها في مسألة التدوين التاريخي إلاّ أنّ هناك العديد من نقاط التقارب بينها يمكن الوقوف عليها من خلال ما يلي:

-يظهر التقارب بين المدارس التاريخية الإسلامية فيما يتعلق بجانب الحدث التاريخي من خلال السعي إلى تحري مصادره فمدرسة المدينة ارتكزت على منطلق السند من خلال البحث والتقصي في سلسلة الرواة لإثبات الحدث التاريخي مع الحرص على تحري الصدق في الرواية التاريخية وتتلاقى مع باقي المدارس التاريخية الإسلامية في ذلك مع وجود تقارب في الفترات الزمنية لتلك المدارس من حيث النشوء، وإن كانت توجهات بعض الرواد في مدرسة العراق واليمن مثلا تخلوا نسبيا عن السند ولم يعتبروه مهم في التدوين التاريخي؛ ومع ذلك يظهر تقارب واضح بين مدرستي الحجاز والعراق من خلال تأثر مدرسة العراق بمرويات مدرسة المدينة ضمن كتاباتهم التاريخية خاصة ما تعلق بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والفتوحات.

-تتوافق المدارس التاريخية الإسلامية فيما بينها في مسألة الاشتراك في الاهتمام بالتاريخ الإسلامي ومنطلقاته الأولى من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغازيه وسيرة الصحابة والخلفاء الراشدين والفتوحات الإسلامية وإن كانت بعض المدارس قد أخذت طابعا خاصا من خلال إدخال مفاهيم متعلقة بالتوجهات المذهبية أو العرفية كما هو الحال مع مدرسة العراق ومدرسة الشام ومدرسة اليمن انطلاقا من ظروف التطور التاريخي الذي شهدته البلاد الإسلامية منذ مطلع القرن 3هـ/9م ما يتطلب التعامل مع ما أنتج من كتابات تاريخية بميزان الغربلة والتمحيص.

-يظهر نوع من التقارب في توجهات ومنطلقات الكتابة التاريخية لدى مدرستي العراق واليمن من خلال تأثر مؤرخيها بالميولات السياسية والتعصب القبلي وهو ما أنتج تأليف تاريخي يصب في هذا الاتجاه؛ كتأثر مؤرخي مدرسة العراق بالصراعات السياسية المتعلقة بالفترة الأموية وآل البيت العلوي وفي المقابل تأثر مؤرخي مدرسة اليمن بحالة التنافس الذي كان قائما بين قبائل يمن الجنوب والقبائل المضرية الشمالية انطلاقا من إحياء العصبية القبيلة والتفاخر بالأنساب؛ وظهر هذا التوجه أيضا في مدرسة بلاد فارس التاريخية لإحياء أمجاد القومية الفارسية.

-من مظاهر التقارب أيضا بين المدارس التاريخية الإسلامية هو اعتمادها منهج التأريخ الحولي من خلال التسلسل الكرونولوجي في عرض الأحداث وتوثيقها، وكانت مدرسة الحجاز السباقة في إرساء هذا المنهج في الكتابة التاريخية وحافظت باقي المدارس الأخرى على هذا التوجه من خلال اعتماد التسلسل الزمني في عرض الأحداث التاريخية في المؤلفات المختلفة مثل: البلاذري في كتاب الفتوح- ابن سعيد في طبقاته الكبرى- الطبري في تاريخ الرسل والملوك وغيرهم.

- من أوجه التقارب بين المدارس التاريخية الإسلامية هو التحول في المنهج والأسلوب انطلاق من فترة القرن4هـ/10م حيث انتقلت من الأسلوب القصصي الروائي إلى منهج الوثيقة والسند التاريخي كما هو عليه الحال بالنسبة لمدرسة مصر التاريخية؛ كما شكلت الوثيقة الرسمية جزءا هاما في الكتابة التاريخية وتتبع النصوص المتعلقة بالحدث التاريخي مع الاهتمام بتاريخ الخطط.

2/ مقاربات بين المدارس التاريخية الغربية:

-على الرغم من اختلاف فترات تشكيل وظهور المدارس التاريخية الغربية وارتباطها بتطورات النهضة وعصر الأنوار بأوربا إلاّ أنّ العديد من الأفكار والمناهج قد وقع فيها نوع من التقارب يمكن الوقوف عليه من خلال مايلي:

-التركيز على الإنسان باعتباره عنصر أساس فاعل في التاريخ وفق نظرة جديدة للمكان والزمان مع تقديم سلطة العقل والتوجه لفكر العصر الحديث الرأسمالي وذلك بغية التخلي عن فكر العصر الوسيط الذي سعى إلى تفسير التاريخ تفسيرا غيبيا ميتافيزيقيا ويتجلى ذلك خاصة في توجه رواد المدرسة الإنسانوية والمدرسة العقلانية.

-تتقارب المدارس التاريخية الغربية في طرح فكرة العودة إلى التراث الماضي كمرجعية تاريخية لاستخلاص القواعد مع رفض أفكار رجال الدين تجاه علم التاريخ والتنكر لسيطرة الكنيسة على الفكر التاريخي؛ وأنّ الإنسان متطور وبإمكانه إحداث الفرق والتوجه نحو التاريخ الشامل بالتخلي عن تفسير التاريخ بالاعتماد على العامل السياسي فقط بل الانفتاح على كل جوانب حياة الإنسان الثقافية الاجتماعية- الاقتصادية- الأخلاقية وهو منهج سعت إلى إرسائه كل من المدرسة العقلانية ومدرسة الحوليات.

-تتوافق العديد من المدارس التاريخية الغربية حول فكرة التوجه إلى توسيع آفاق البحث التاريخي والخروج من دائرة جغرافيا أوربا والانفتاح على تاريخ الشعوب وثقافتها المختلفة انطلاق من توسيع فكرة ترجمة الكتب وانفتاح الدراسات التاريخية على المجتمع- الاقتصاد- الثقافة- الذهنيات وغيرها.

-من مظاهر التقارب أيضا بين المدارس التاريخية الغربية هو اعتماد الوثيقة كمصدر هام لمعرفة الحقيقة وتوظيف المنهج النقدي لتدوين الحدث التاريخي فالمدرسة الإنسانوية دعت إلى نزع القيود عن العلوم وسعى روادها لترجمة الكثير من الكتب التي منع تداولها من قبل الكنيسة وترجمتها بكل لغات العالم؛ كما وأنّ المدرسة العقلانية دعت إلى التوجه نحو التاريخ الشامل ووضع تحقيب زمني جديد يخالف تحقيب الكنيسة من خلال تقسيم التاريخ إلى ثلاثة عهود متكاملة محورها الإنسان والتطور هي: التاريخ القديم- التاريخ الوسيط- التاريخ الحديث.

3/ مقاربات بين المدارس التاريخية الإسلامية و الغربية:

-الإنسان محور الحدث التاريخي

-استخدام المنج النقدي: الإسلامية(الجرح والتعديل)/ الغربية (التفريق بين الإطار العام والمضمون-النقد الظاهري والباطني).

-الاعتماد على التدوين التسلسلي للأحداث(المدارس الإسلامية:التاريخ الحولي/ المدارس الغربية: التحقيب الكرونولوجي).

-تنويع مصادر تدوين الحدث التاريخي(المدارس الإسلامية: الرواية والسند/ المدارس الغربية: الوثائق المكتوبة والأثرية وغيرها).